رجل من بنى حنيفة -١

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة ، يقال له ، ثمامة بن أثال ، سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم فقال له : " ماذا عندك يا ثمامة ؟ "

قال : عندى يا محمد خير. إن تقتل تقتل ذا دم ، و إن تنعم تنعم على شاكر، و إن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

حتى إذا كان الغد قال : " ماذا عندك يا ثمامة ؟"

قال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكر، و إن تقتل تقتل ذا دم ، و إن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى كان بعد الغد ، فقال :

" ماذا عندك يا ثمامة ؟ "

فقال : عندى ما قلت لك . إن تنعم تنعم على شاكر ، و إن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت ..

" حديث صحيح أخرجه البخارى و آخرون "

....

يضع الإسلام أسساً إنسانية للتعامل مع الأعداء و الخصوم ، تظل منارة هادية لكل من يريد الهداية و السلوك الإنسانى القويم ، وفى الوقت ذاته ترد على من يظلمون الإسلام و يتهمونه بتهم غير حقيقية ، و تلصق به ما ليس فيه .

إن العلاقة مع الآخر ، ولو كان عدواً لدوداً تأخذ صورة غير مسبوقة فى التاريخ الإنسانى ، حين نقيسها بمقاييس الإسلام التى تقدم السلام و المودة و الخير

على الحرب والكراهية والشر .. فما انتشر الإسلام بالسيف كما يردد المفترون الظالمون ، ولا ساد بالعنف والاضطهاد كما يرجف المفترون الطاغون .

و هذه القصة النبوية الشريفة تقدم لنا حدثاً واقعيا جرى على أرض نجد فى قلب الجزيرة العربية ، حيث قبيلة من أشهر قبائلها وهى قبيلة بنى حنيفة.. فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم – كما يروى أبى هريرة رضى الله عنه – مجموعة من الفرسان إلى نجد أو أرسل خيلاً قبل نجد ، أى نحو نجد كما يقول أبو هريرة .

وكان إرسال هذه المجموعة لتأمين المسلمين و إتقاء شرّ من يهددّهم بالإغارة أو شن الحرب .

و استطاع الفرسان أن ينجحوا فى مهمتهم ، و يأسروا " ثمامة بن أثال" سيد أهل اليمامة ، وهو من بنى حنيفة .. وكان عليه أن يخضعّ لما يخضع له الأسرى وفق مفهوم هذا العصر و تقاليده و قيمه فى التعامل مع الأسرى .

بالطبع لم يكن هناك آنئذ أماكن احتجاز للأسرى أو سجون أو معتقلات يوضع فيها أسرى العدّو ، ولكن التحفظ على " ثمامة " اقتضى ربطة بسارية ، أى عمود من سوارى المسجد حتى لا يهرب ، ثم يرى المسلمون فيه ما يراه رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

و كما نرى فالقصة تجرى فى تسلسل قصصى يشوقنا إلى معرفة بقية الأحداث التى تتصاعد شيئاً فشيئاً .. فالشخصية المهمة فى القصة هى شخصية زعيم بنى حنيفة و سيّد أهل اليمامة ، وهو ليس رجلاً عادياً أو بسيطاً ، وقد جىء به أسيراً إلى المدينة المنورة وتم ربطه فى سارية المسجد حتى يُنظر فى أمره ، فماذا جرى له ؟

لقد خرج الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى ثمامة ، و سأله :

" ماذا عندك يا ثمامة ؟ "

والسؤال هنا يعنى أكثر من معنى أو أكثر من مستوى دلالى ، ولكنه يريد بصفة عامة أن يستخرج ما فى باطن الرجل من رأى ورغبة .

كأنه – صلى الله عليه وسلم – يسأله : أى شىء عندك يا ثمامة ؟ أو ماذا تظن أن أفعل بك يا ثمامة ؟

وبالتأكيد ، فإن ثمامة ، أو من فى مثل موقفه الصعب ؛ لابد أن يرجو الخير عند النبى – صلى الله عليه وسلم – الذى اشتهر بالعفو عمن ظلم ، والرحمة بالضعيف والإحسان إلى المسىء..

و هذه صفات يشهد له بها أعداؤه قبل أحبابه ، حيث يرونه إنساناً فى خلقه إنساناً فى تصرفاته ، إنساناً فى مشاعره وعواطفه ، على عكس ما يصوره به المتعصبّون الأشرار الذى يعيثون فساداً فيقتلون الضعفاء ويحتلون أراضيهم ويحرمونهم من عقيدتهم وشريعتهم وينهبون بلادهم وخيراتهم ..

محمد – صلى الله عليه وسلم – يسأل ثمامة عما يظن أن يفعله به ؟ ويجيب ثمامة وفق فطرته ، والمفاهيم التى استقرت وسادت فى زمانه وعصره ، فيقول :" **عندى يا محمد خير**. إن تقتل تقتل ذا دم ، إن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت "

إن الرجل يطرح الخيارات الثلاثة : القتل ، المنّ ، الفداء ، ولكل خيار من هذه الخيارات وجهه ومنطقه وحيثياته وفقا لمفهوم ثمامة ، ومفهوم زمانه ، وهو ما استمع إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مرة ، ولم يعلق عليه ، ثم سمعه ثانية وثالثة .

رجل من بنى حنيفة -٢

فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه كشف لنا قصة أسر ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، من بنى حنيفة ، ورأينا كيف كان يردّ على النبى – صلى الله عليه وسلم ، ويكرر إجابته : " إن تقتل تقتل ذا دم ، إن تنعم تنعم على شاكر ، و إن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت ".

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " انطلقوا بثمامة " فانطلقوا به إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله ، يا محمد و الله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ .

❖ ووالله ما كان من دين أبغض إلى من دينك ، فأصبح دينك أحب الأديان إلىّ

❖ ووالله ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلىّ .

و إن خيلك أخذتنى ، و أريد العمرة ، فماذا ترى ؟

فبشره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و أمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبأت .

فقال : لا .

ولكن أسلمت مع محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا و الله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة ، حتى يأذن فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم ..

....

من يدرس تاريخ الإسلام ، و خاصة فى مرحلة البعثة ، و يرى مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم – مع المشركين و الكافرين و المنافقين ، يتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام هو الذى يفرض نفسه على القلوب و العقول ، و أن ما يفتريه بعض الظالمين المتعصبين عن نشر الإسلام بالسيف ، هو فرية لا أساس لها من الصحة تاريخيا أو واقعياً .

إن الحـروب الـتى خاضها الإسلام كانت دفاعاً عن وجوده ، و تأمينا لأتباعه و ترسيخاً للأمن فى ربوعه ، ولم تكن لإرغام الناس على الدخول فى دائرته ، والبحث عن الغنائم ، و إيذاء المخالفين كما يزعم المفترون المتعصبّون ..

وهاهُن نرى محمـداً – صلى الله عليه وسلم – يترك لثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة وزعيم بنى حنيفة ، أن يختار و يقرر ، ليس من أول مرة ، ولكن بعد مرات ثلاث يقول فى كل منها :

" إن تنعم تنعم على شاكر ، و إن تقتل تقتل ذا دم و إن كنت تريد المال ؛ فسل تعط منه ما شئت ".

إن الإنعام المقصود فى كلام ثمامة ، هو المَن ، أى الإفراج عنه بعد الأسر ، وتركه يعود إلى أهله و قومه .. .

و هذا الإنعام يستوجب الشكر ...و الشكر سلوك يحبذه العرب و أقره الإسلام .

فكل من يحسن إليك يستوجب الشكر . " من أسدى إليكم معروفاً فاشكروه " ..

بل إن الشكر فى الإسلام يأخذ أبعاداً أعمق تصل إلى العبادة ، حيث نحمد الله ونشكره فى صلاتنا و قيامنا على ما يسديه إليه من نعم لا تحصى ، ومعروف يمّتد بامتداد الزمان و المكان .

أمـا القتـل الذى أشار إليه ثمامة ، فهو القصاص من القاتل ، أو الثأر للقتيل وطالما أن الأسير مطلوب دمه قصاصاً فلا لوم على النبى – صلى الله عليه وسلم – إذا قتله قصاصاً ، واشتفاء منه ..

و إذا كان المَن و القتل يمثلان الخيار الأول و الخيار الثانى ، فإن الفداء هو الخيار الثالث ، و معناه ، أن يقوم أهل الأسير بدفع فدية من المال يقبل بها المسلمون كى يطلقوا سراحه .

و قد آثر الرسول – صلى الله عليه وسلم – الخيار الأول ، وهو الإنعام ، أى المَن على ثمامة و إطلاق سراحه ، وهو ما جعله من خلال معايشته للمسلمين ، يؤثر الإسلام ويعلنه .

لقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه : " انطلقوا بثمامة " وذهبوا به إلى نخل قريب من المسجد ، حيث اغتسل و دخل المسجد ، ونطق بالشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله . و أشهد أن محمداً رسول الله .

هكذا دخل صحابى جديد إلى دائرة الإسلام السمحاء ، بعد أن كان معادياً شديد العداء للإسلام و المسلمين ، و أعلن عن مشاعره صراحة قائلاً يا محمد و الله ما كان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ .

- ❖ ووالله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الأديان إلىّ
- ❖ ووالله ماكان من بلد أبغض إلىّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلىّ..

وهنا نراه يحب محمداً بعد بغض ، ويحب دينه بعد بغض ، و يحب بلده بعد بغض مسجلاً مشاعر إنسانية حقيقية ترتبط بالصراع بين الحق و الباطل ، وتؤكد على أن الرجل الذى يفىء إلى الحق هو رجل مكتمل المشاعر و العواطف لا يكتمها ولا يخفيها مهما كانت حادة أو عنيفة ..

و تؤكد فى الوقت ذاته على حب الإنسان للإنسان الذى هو نبى ، و حب الإنسان للدين الذى هو العقيدة ، و حب الإنسان للبلد الذى هو الوطن ..وهو حب مشروع لمن يملك المشاعر الإنسانية الحقيقية .

لقد تمنى ثمامة أن يعتمر. فبشره الرسول – صلى الله عليه وسلم – و أمره أن يعتمر.

وفى مكة قالوا له : صبأت ، أى رجعت عن دين آبائك وهو الوثنية .

و لكنه أفحمهم قائلاً : لقد أسلمت مع محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأقسم ألا يأتيهم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم . رضى الله عن ثمامة و الصحابة أجمعين .

**** ****

كتب للمؤلف
الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولا : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

١- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.

٢- تيسير علم المعاني

٣- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .

٤- محمد- صلى الله عليه وسلم -في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة) .

٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .

٦- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة).

٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث .

٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .

٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث .

ثانيا : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ) :

١- الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .

٢ - وجوه عربية وإسلامية .

٣ - الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .

٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .

٥ - الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .

٦ - الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية).

obeikandl.com

٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)

٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : إسلاميات :

١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).

٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات).

٣ - الحرب الصليبية العاشرة.

٤ - العودة إلى الينابيع .

٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .

٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .

٧ - هتلر الشرق .

٨ - جاهلية صدام وزلزال الخليج .

٧ - أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .

٨ - النظام العسكري في الجزائر.

٩ - حفنة سطور.. شهادة إسلامية .

١٠ - لأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .

١١ - الإسلام في مواجهة الاستئصال .

١٢ - تحرير الإسلام .

١٣ - دفاعا عن الإسلام والحرية .

١٤ - التنوير .. رؤية إسلامية .

١٥ - معركة الحجاب والصراع الحضاري .

١٦ - العصا الغليظة .

١٧ - واسلمي يا مصر.

obeikandl.com

١٨ – ثقافة التنمية : المنهج . الخصائص . التطبيقات .

رابعا : كتب أدبية ونقدية :

١. الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .
٢. رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .
٣. الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٤. موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .
٥. حوار مع الرواية المعاصرة في مصر وسوريا
٦. لويس عوض الأسطورة والحقيقة . حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٧. الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .
٨. إنسانية الأدب الإسلامي .
٩. حصيرة الريف الواسعة .
١٠. أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .

خامسا : إعلام :

١- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سادساً: كتب للأطفال :

واحد من سبعة .

سابعاً : كتب محققة :

١- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية .

٢- أحسن ما كتبت .

ثامنا – كتب معدة للنشر:

١- التمرد الطائفي في مصر: أبعاده وتجلياته .

obeikandl.com

٢ - الحداثة العربية : المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .

٣- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .

٤ - الحكاية كلها معاصرة (دراسات في الرواية) .

٥ - خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .

٦ - الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .

٧ - العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .

٨ - اللحم الإسلامي المستباح .

٩ - حضرت التبعية .. وغابت الهوية .

١٠ - صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا) .

١١- انتصار الدم على السيف .

١٢ - سورة الأنفال.

١٣ - نداء الفطرة .

١٤ - عباد الرحمن وعباد السلطان .

١٥ - اخلع إسلامك .. تعش آمنا ؟!

١٦ - ثقافة تزغيط البط !

١٧ - محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !

١٨ - القيم الإسلامية في رسائل النور.

١٩ - كهنة آمون !

٢٠ - المدافعة والمداولة - قراءة في الأفق الثقافي العام .

obeikandl.com